القيم القرآنية في خطاب الإمام الحسين(عليه السلام) بين التكوّن المفهومي والتفعيل الواقعي

م.د سجاد هادي صاحب العنبكي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه
Sajjadh.alanbaki@uokufa.edu.iq
٠٧٨١٩٠٩١٧٧٧

المستخلص:
ينطلق البحث من فرضية مركزية مفادها أن الخطاب الحسيني لم يكن مجرد تكرار أو نقل للمضامين القرآنية، بل كان عملية تخلّق متجددة للقيم القرآنية عبر آليات منهجية استمدها الإمام الحسين (عليه السلام) من النص القرآني، ليحولها إلى نماذج واقعية ملموسة في سياق نهضته ومواقفه التاريخية.
ويركز البحث على دراسة الجدلية الديناميكية بين التنزيل القرآني كمصدر قيمي مجرد، والتفعيل الحسيني كعملية تطبيقية وتشكيلية مستمرة، تتفاعل فيها المفاهيم القيمية مع متغيرات الواقع المعيش، ما أفضى إلى بناء منهج تربوي أخلاقي وسياسي متكامل يتطابق مع جوهر الرسالة القرآنية.
وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي للنصوص الخطابية الحسينية في ضوء القيم المستخلصة من القرآن الكريم، مع التركيز على بعض المفاهيم الأساسية.
يُبرز البحث أهمية هذا المنهج في دعم الوعي القيمي والتربوي في مواجهة تحديات العصر، مستلهماً من تجربة الإمام الحسين (عليه السلام) قاعدة صُلبة للتفاعل الحي بين النص الإلهي والواقع الإنساني.

الكلمات المفتاحية: التنزيل القرآني، التفعيل الحسيني، القيم القرآنية، التخلّق المفهومي، المنهج التربوي الحسيني، الوعي القيمي.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

Abstract

This research stems from a central hypothesis that Husseini discourse was not merely a repetition or transmission of Quranic content, but rather a dynamic process of embodying Quranic values through systematic mechanisms derived by Imam Hussein (peace be upon him) from the Quranic text, transforming them into tangible, real-world models within the context of his revolution and historical stances.

The study focuses on examining the dynamic interplay between Quranic revelation as an abstract source of values and Husseini activation as an ongoing process of practical and formative application, where value-based concepts interact with the variables of lived reality. This interaction resulted in the construction of an integrated moral, educational, and political methodology aligned with the essence of the Quranic message.

The research adopts an analytical-interpretive approach, supported by thematic analysis, to examine Husseini discourse texts in light of values derived from the Holy Quran, with a focus on the concepts of justice, freedom, reform, and patience.

The findings reveal that Imam Hussein's (p.b.u.h.) discourse represents a living model for embodying and activating Quranic values through a conceptual framework rooted in divine revelation and human nature, alongside practical application extending to revolutionary and social action. This endowed his discourse with ideological rigor and timeless educational depth.

The study highlights the significance of this methodology in fostering value-based and educational awareness to confront contemporary challenges, drawing from Imam Hussein's (p.b.u.h.) experience as a solid foundation for a dynamic interaction between divine text and human reality.

Keywords: Quranic revelation, Husseini activation, Quranic values, conceptual embodiment, Husseini educational methodology, value-based awareness..

مقدمة

شكّلت القيم القرآنية عبر التاريخ مرجعية معيارية لتقويم الوعي الإنساني وتوجيه سلوكه، فهي ليست مجرد مفاهيم أخلاقية أو تعليمات روحية، بل منظومة شاملة تتخلّق في صلب التجربة الإنسانية،

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

وتعيد تشكيل الواقع في ضوء مقاصد الوحي. ومن بين أبرز التجليات الحيّة لتفعيل تلك القيم في التاريخ الإسلامي، يبرز الخطاب الحسيني بوصفه مرآة صافية لتنزيل القيم القرآنية في سياق الفعل الثوري والتربوي والاجتماعي، حيث لم يكن مشروع الإمام الحسين(عليه السلام) مجرد موقف احتجاجي على الانحراف السياسي، بل كان رؤية حضارية ذات بنية قِيمية متكاملة.

إن المتتبّع لخطب الإمام الحسين (عليه السلام) ورسائله ومواقفه، يلحظ بوضوح حضورًا كثيفًا للقيم المستمدة من القرآن الكريم، ليس على نحو الاقتباس أو التلاوة الشعائرية، بل على مستوى "التخلّق المفهومي" الذي يفضي إلى "تفعيل واقعي" يتجاوز التنظير إلى التغيير، ومن هنا تنشأ إشكالية هذا البحث التي تتمثل في: كيفية انتقال القيم القرآنية من التنزيل الإلهي إلى التكوين الواقعي في الخطاب الحسيني؟ وما آليات هذا التشكّل المفهومي، وصور تجليه العملي؟

إن هذا البحث لا يروم استعراض القيم في بعدها الأخلاقي المجرد فحسب، بل يتعقّب منهج الإمام الحسين (عليه السلام) في تحويل القيمة إلى أداة وعي، ومحفّز إصلاح، ودعامة مشروع حضاري مقاوم، بما يكشف عن قابلية النموذج الحسيني لأن يكون مرجعًا في مقاربة أزمات القيم في عصرنا، واستئناف دورها في هندسة الوعي وتوجيه الموقف.

وتبرز مشكلة البحث: من أن الجدلية التفاعلية بين القيم القرآنية ومنهج التفعيل الحسيني لا تزال بحاجة إلى تفكيك منهجي دقيق، يُبيّن كيفية انتقال تلك القيم من مستوى التنزيل الإلهي إلى فضاء السلوك الثوري الواقعي.

متمحورة –المشكلة- حول السؤال الآتي: كيف تخلّقت القيم القرآنية مفهومًا في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام)، وما آليات تفعيلها الواقعي في سياق النهضة الحسينية؟

وما أبرز القيم القرآنية التي تشكّل البنية المفهومية للخطاب الحسيني؟ وما مظاهر تفعيل تلك القيم في المواقف والسلوكيات الحسينية قبل كربلاء وفيها؟ وإلى أي حد يمثّل الخطاب الحسيني نموذجًا تطبيقيًا للتفاعل بين النص القرآني والواقع الإنساني المقاوم؟

منطلقًا من فرضية أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يستحضر القيم القرآنية في خطابه على نحو وعظي مجرّد، بل فعّلها كمنظومة تربوية وسلوكية منسجمة مع مقاصد الوحي. وأن النهج الحسيني يُقدّم أنموذجًا ناجحًا لتحويل القيمة القرآنية إلى أداة لفهم الواقع، وإنتاج الموقف، وصناعة الوعي الجمعي، ويهدف البحث إلى استكشاف الجذور القرآنية للقيم المتجلية في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام).

وتحليل آليات تكوّن القيم وتخلّقها المفهومي ضمن الخطاب الحسيني وبيان كيفية تفعيل تلك القيم واقعيًا في سياق الثورة الحسينية. والكشف عن منهج الإمام الحسين في تفعيل النص القيمي داخل الواقع

العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

المتحوّل. والإسهام في إبراز الراهنية التربوية والحضارية للأنموذج الحسيني في التعامل مع أزمات العصر.

التمهيد: الإطار الاصطلاحي والمفهومي لمقولات البحث:

تُعدُّ المفاهيم والمصطلحات ركائز تأسيسية لا غنى عنها في أيّ مشروع بحثي يتوخى الدقة والعمق؛ إذ تُحدّد من خلالها مسارات الفهم، وتُضبط بها الحقول الدلالية التي تتحرك فيها الأفكار، خاصة في البحوث ذات الطابع التفسيري والتحليلي للقيم القرآنية وتجلياتها في الخطاب الإسلامي. ومن هذا المنطلق، يتعيّن الوقوف عند بعض المقولات المحورية في هذا البحث، سواء من جهة بنيتها الاصطلاحية، أو من جهة تَشكُّلها المفهومي داخل السياق القرآني، وفي خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه امتدادًا تطبيقيًا لها.

وتبرز في هذا السياق أربع مفردات مفتاحية تتقاطع لتشكّل الهيكل المعرفي للبحث:

القيم في اللغة والاصطلاح:

القيم لغة:

يدل الجذر اللغوي للقيم (ق و م) على مجموع من الناس، أو القيام والاستقامة والعزم، إلا أن ما يقصده البحث أن القِيَم: الاسْتقَامَة و دينا قِيماً: مُسْتَقِيمًا. وَيُقَال: رُمْح قَوِيم، أَي: مُسْتَقِيم. وكلُّ من ثبتَ على شيءٍ وتمسّك بِهِ فَهُوَ قَائِم عَلَيْهِ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾[الأنعام: ١٦١]، وقِوَامُ الدِّينِ وَالْحَقّ، أَيْ بِهِ يَقُومُ. والقِيَم مصدر كالصِّغَر وَالْكبر، إِلَّا أَنه لم يُقَل قِوَم مثل قَوْله: ﴿لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الْكَهْف: ١٠٨]، لأنَّ قِيَماً من قَوْلك: قَامَ قِيَماً، وَقَامَ كَانَ فِي الأَصْل قَوَمَ أَو قَوُمَ فَصَارَ قَامَ، فاعتلّ قِيَم (ابن فارس، احمد، ١٤٠٤هـ، صفحة ٥/ ٤٣).

القيم اصطلاحًا:

لقد تباينت آراء الباحثين وتعدّدت تصوراتهم بشأن مفهوم القيم ومصادرها وخصائصها، ويُعزى هذا التفاوت إلى اختلاف تخصصاتهم وتنوّع مناهلهم المعرفية. بل إن هذا التباين لا يقف عند حدود اختلاف التخصصات، بل يتعدّاه ليظهر حتى في الحقل العلمي الواحد؛ فالفلاسفة مثلًا، وإن اجتمعوا في الميدان ذاته، فإنهم ينظرون إلى القيم من زوايا متباينة: فمنهم من يتناول ماهية القيم، ومنهم من ينشغل بأسباب وجودها أو طبيعة إدراكها، فلكلٍ رؤيته الفلسفية ومقولته التأصيلية (لالاند، اندريه، ٢٠٠١، صفحة ٣/ ١٥٢٢).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

وكذلك الأمر في علم الاجتماع، حيث يُدرَس مفهوم القيم في ضوء تفاعلاتها الاجتماعية وأثرها في تشكيل سلوك الأفراد والجماعات (زايد، ١٩٨٣، الصفحات ٣٣-٣٤) . أما علماء الاقتصاد، فيتناولون القيم من منظور نفعي يرتبط بقيمة العمل والإنتاج وتقدير السلع (الصدر، محمد باقر، ١٤٢٥ هـ، صفحة ٢٠٣). وهكذا تنسحب زاوية النظر هذه على سائر الحقول المعرفية: كعلم النفس، والعلوم السياسية، والتربية،وغيرها.

أما القيم الإسلامية، فقد عُرِّفت بأنها: مجموعة الضوابط الفردية والجماعية التي يتحدد على أساسها السلوك والنشاط والحركة في مجتمع ما، وقد عُرفت القيم الفردية بأنها:القيم التي ربي عليها هذا الفرد موجهات داخلية ومعايير ذاتية يحكم على أساسها ويميز بين الخير والشر، الحق والباطل، أما القيم الاجتماعية فهي: القيم المتضمنة في مختلف العلاقات التي يرتبط بها أفراد المجتمع فيما بينهم حكاماً ومحكومين، أغنياء وفقراء، ... وبهذا الفهم نستطيع التمييز بين القيم الفاعلة والمؤثرة والحاكمة لحياة الفرد والجماعة، والقيم التي قد تكون بين عناصر النسق القيمي المعلن من دون أن تترجم إلى سلوك حقيقي (احمد، عبد الله، ١٩٨٨، صفحة ٢٣) .

أو هي: " الأهداف المقدسة والمشروعة التي يقتنع بها البشر ويجعلها معايير للحكم على الأشياء بالحسن والقبح، وعلى الأفعال بالأمر والنهي" (المدرسي، محمد تقي، ١٤١٣، صفحة ٢٠٣).

ونستطيع أن نعرّف القيمة القرآنية على أنها: المعيار الموجّه للسلوك الإنساني، الذي يأخذ مكانة أساسية ومحورية في البناء الأخلاقي والعقدي والاجتماعي، ويتكرر حضوره في النص القرآني بوصفه مبدأً يُراد ترسيخه في الفرد والمجتمع.

وبهذا التصور، يتاح لنا التمييز بين القيم الفاعلة والمؤثرة، التي تُترجم إلى سلوك واقعي في حياة الفرد والجماعة، وبين القيم المعلنة التي تظلّ حبيسة الشعارات دون أن تجد طريقها إلى التطبيق. ومن ثم يتّضح أنّه لا فارق جوهريًا بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للقيم؛ فكلاهما، وإن اختلفا لفظًا، يتفقان معنىً في الإشارة إلى "الاعتدال" و"الاستقامة" في الحكم والسلوك.

المبحث الأول: القيم العقدية في ضوء التنزّل القرآني والتمثّل الحسيني.

يعد القرآن الكريم المصدر الرئيس للقيم الإنسانية؛ ولمّا كان كذلك ينبغي البحث في كيفية تناول القرآن الكريم للقيم، وعلى اي اساس تُقسّم، وهل جاءت على نحو متدرّج أو على دفعة واحدة، وسبب النزول بتلك الكيفية، وهل جاءت مراعية لعصر نزولها، متأثرة بثقافة نزول النص، أو مسايرة للفطرة الإنسانية، وحاكمة في كل زمان ومكان، من هنا جاء هذ المبحث ليجيب عن هذه التساؤلات وغيرها.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

ومما ينبغي الاشارة إليه أن البحث سيقتصر على بعض القيم أو الكبرى منها؛ لأن ذلك لا يمكن أن يُستوعب في بحث مختصر كهذا.

ونقصد بالقيم العقدية: بها القيم التي تؤسس للعلاقة بين الله تعالى والإنسان، وهي تشكّل البنى التحتية للقيم الأخرى، ومن أبرز تلك القيم هي:

المطلب الأول: قيمة التوحيد والتفعيل القيمي

أ- قيمة التوحيد:

يعد التوحيد من أعظم القيم التي ينطلق منها القرآن الكر يم لبناء الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهو الركيزة الأساس التي تنبني عليها المنظومة القيمية الأخرى قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقد ركّز القرآن الكريم على هذه القيمة بوصفها انبثاقًا للروية الوجودية للإنسان وما حوله، وأصل معرفة الخالق المتفرّد، وبناء الوعي التوحيدي المرتكز على الفهم لا الإيمان فقط قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فالتوحيد موجّهة للسلوك الإنساني العام ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فهو ليس فكرة ذهنية، بل هو شمولي للكل حياة الإنسان؛ ولأنه تعالى رحيم بعباده والشرك والظلال خسار وابتعاد عن مصدر الخير والرحمة قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

ويرى صاحب الميزان أن: "الأخلاق الكريمة لا تتم الا بالتوحيد فالتوحيد هو الأصل الذي عليه تنمو شجرة السعادة الانسانية وتتفرع بالأخلاق الكريمة وهذه الفروع هي التي تثمر ثمراتها الطيبة في المجتمع قال تعالى: " ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فجعل الايمان بالله كشجرة لها أصل وهو التوحيد لا محالة (واكل تؤتيه كل حين بإذن ربها) وهو العمل الصالح وفرع وهو الخلق الكريم كالتقوى والعفة والمعرفة والشجاعة والعدالة والرحمة ونظائرها" (الطباطبائي، محمد حسين، ٢٠٠٩، صفحة ١١/ ١٥٥)، فالتوحيد هو القيمة المعيارية العليا؛ لأنها ترتبط بين الله تعالى وخليفته في الأرض.

فعبادة الله وحده يدل على تحرر الإنسان من عبادة سواه، وقد أراد الله تعالى من الإنسان ان يعبده مخلصًا له لا يشرك بتلك العبادة هوى، او نفس، او مال، او سلطة إلى غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، "ومعنى " (حنفاء) مستقيمي الطريقة، على أمر الله.

العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

وأصل الحنف الاستقامة . وقوله (غير مشركين به)أي غير مشركين بعبادة الله غيره . والاشراك تضييع حق عباده الله بعبادة غيره" (الطوسي، محمد بن الحسن؛، ١٤١٤، صفحة ٧/ ٣١٢) .

ب ـ التفعيل القيمي:

إن نشأة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت في بيت النبوة، والتوحيد، ووالده هو من هدم الأصنام من على الكعبة (الحسكاني، عبيد الله، ١٤١١، صفحة ١/ ٤٥٣) (الحراني، ١٤٠٤، صفحة ٢٣٩)، فكانت كل حركاته وسكناته منطلقة من توحيد الله وفي سبيل الله تعالى، ففي منطلقه ردد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان، ولا التماسا من فضول الحطام ولكن لنري المعالم من دينك... ونظهر الاصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكام...)) (الفيض الكاشاني، محمد حسين، ١٤١١، صفحة ١٥/ ١٧٩)، ومن خطابه في تصحيح مفهوم التوحيد للناس والتحذير من التجسيم وغيره قال: ((أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب بل هو الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير . استخلص الوحدانية والجبروت وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن...)) (الحراني، ١٤٠٤، صفحة ٢٢٤).

والمطّلع على خطابات الإمام الحسين (عليه السلام) وأدعيته ومناجاته يحار بأيها يبدأ وبأيها يختم، فلو لم يكن غير دعائه يوم عرفة لكفى، ففيما قاله (عليه السلام): ((الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيكون موروثا، ولم يكن له شريك في الملك فيضاده فيما ابتدع، ولأولى من الذل فيرفده فيما صنع .سبحانه سبحانه سبحانه، لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وتفطرنا، فسبحان الله الواحد الحق الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)) (ابن طاووس، علي، ١٤١٥، صفحة ٢/ ٧٨)، والدعاء يضم أبلغ العبارات الدالة على توحيده سبحانه.

وقد ضرب (عليه السلام) أعلى الأمثلة في علاقته مع الله تعالى، ففي احلك الظروف لم يقطع علاقته معه سبحانه، او يلتفت لما حوله، فهو على الثرى في كربلاء ويدعو: ((ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم متعال المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلائق عريض الكبرياء قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء . قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجا وارغب إليك فقيرا ! وافزع إليك خائفا وأبكي مكروبا، واستعين بك ضعيفا وأتوكل عليك كافيا...)) (المقرّم، عبد الرزاق، ٢٠٠٧، صفحة ٢٩٦)، وهذا يدل على قمة التمجيد للذات الإلهية، والعبودية المطلقة لله تعالى.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

وكذلك تجسّد التوحيد الإلهي في أقسى اللحظات عليه إيلامًا، حينما قُتل ولده عبد الله الرضيع في حجره، فقال:((هوّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى)) (المقرّم، عبد الرزاق، ٢٠٠٧، صفحة ٢٧٨)، فهنا نجد أجلى مظاهر التفعيل والتطبيق لمفهوم التوحيد الإلهي كونه أعلى القيم القرآنية، وهي منبعها.

والشهادة تمثل تفانيه في محبة الله وما اختاروا الشهادة الا بعد ما اختارها الله له وهو لا يطلب فيها سوى رضى الله، وعبودية محضة لله تعالى وطاعة خالصة لله وتسليمًا تامًّا لأمره فالإمام الحسين عليه السلام يناجي ربه، وهو صريع على التراب ملطخ بدمه يقول: إلهي رضى بقضائك لا معبود سواك (صدر المتألهين، ١٣٨٣ ش، صفحة ١/ ٩٦)، وهو يمثل قمّة الوحدانية القولية والعملية لله تعالى والارتباط به سبحانه.

المطلب الثاني: النبوة والرسالة التأسيس القرآني والتطبيق الحسيني:

أ- التأسيس القرآني:

يركّز القرآن الكريم على قيم من شأنها أن تكون فضيلة في نفسها أو مؤدية لغيرها، أو في نفسها ولغيرها كالنبوة، فالإيمان والاتباع للنبي(صلى الله عليه وآله) من شأنه أن يجعلك متّصفًا بصفاته، وهي على أعلى درجات الأخلاق والاستقامة؛ لذا جعله الله قدوة، ومثالًا يقتدى به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكذلك يشرط الله الإيمان به تعالى الإيمان بالأنبياء وهذا ثابت في القرآن الكريم في غير موضع، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وفي موضع آخر يصف الله تعالى من يريد أن يفرّق بينه وبين رسوله بأنه كافر حقًّا، ووعده بالعذاب، أما الذي يؤمن بالله ولا يفرّق بين الايمان بالله والرسول فقد فاز، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

وبالقراءة المتدبرة للآيات القرآنية يمكن بيان أبرز مهام الرسالة بصورة عامة ورسالة نبينا الأكرم بصورة خاصة وبصورة مختصرة:

أ- تحرير التوحيد من الطاغوت:

من أجلى أهداف البعثة للأنبياء هو أن يدعوا الناس لعبادة الله واجتناب الطاغوت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والطاغوت:" الطغيان، وهو

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

تجاوز الحد، وأصله طغيوت فقدموا لامه على عينه على خلاف القياس ثم قلبوا الياء ألفا فصار طاغوت، وقد يطلق على الكافر والشيطان والأصنام وعلى كل رئيس في الضلالة وعلى كل من عبد من دون الله" (الطريحي، فخر الدين، ١٣٦٢ ش، صفحة ١/ ٢٧٦).

ب- تكامل العقل، تعليم ما لا نعلم:

لقد خلق الله العقل وجعل فيه قابلية التطوير والاستنباط، إلا أنه لا يمكنه لوحده من إدراك كثير من الأمور خاصة ما يتعلق منها بالجانب الديني والروحي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فمن اهداف بعثة الأنبياء هو كمال العقول، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): " ما قسم الله للعباد شيئا " أفضل من العقل، فنوم العاقل فضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبيا (ولا رسولا) حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته..." (الكليني، محمد بن يعقوب، ١٣٦٣ ش، صفحة ١/ ١٣)، فالعقل البشري محتاج للوحي الإلهي؛ لفهم الأشياء على حقيقتها لا بما يظهر للعقل والعيان منها.

ت- تمكين الحياة الطيبة:

يأمرنا الله تعالى بالإيمان بما جاء به النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) والاستجابة لما يأمرنا به؛ لأن به الحياة الطيبة والسعادة، يقول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤]، فكأن الناس من دون الاستجابة للتعليمات النبوية هم أموات، والله يحييهم به، وهو الحق، ومن دون القيم الإلهية أموات.

ث- إقامة القسط:

يجد المتتبع للآيات القرآنية إن من أعلى أهداف بعثة الأنبياء هو إقامة القسط بين الناس، وأنه من القيم الإنسانية الأساسية في النظام القيمي القرآني، إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ولعل أبرز مثال لإقامة القسط هو سيرة المعصومين (عليهم السلام) وتطبيقهم هذه القيمة على أرض الواقع.

ج- القضاء بين الناس عند اختلافهم:

إن الاختلاف بين الناس شيء طبيعي في الحياة الدنيا، لكن ما يُحذّر منه القرآن الكريم هو عدم إقامة العدل في الحكم بين المختلفين؛ لذا كانت مهام الأنبياء (عليهم السلام) هو إقامة العدل، قال تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ب ـ الميدان التطبيقي:

لقد كان منطلق الإمام الحسين (عليه السلام) في حركته الإصلاحية هو إتمام للمشروع النبوي المبارك، وقد صرّح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأن عدم الضلال عن الدين هو التمسك بالقرآن وبالعترة الطاهرة، بقوله (صلى الله عليه وآله): ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما)) (الترمذي، محمد بن عيسى، ١٤٠٣، صفحة ٥/ ٣٢٩)، فكانت العترة الطاهرة هي الامتداد الطبيعي للمسيرة النبوية، وللإمام الحسين (عليه السلام) مزيّة عن غيره من أهل البيت إذ ورد عن النبي الأكرم قوله: ((حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)) (ابن ابي شيبة، عبد الله، ١٤٠٩، صفحة ٧/ ٥١٥)، ففي عبارة (حسين مني) تدل ببعدها الظاهري إلى الجانب النسبي والانتماء الطبيعي، فهو ابن بنته (عليه السلام)، وكذا تدل على البعد الأعمق بأن الحسين (عليه السلام) جزء من الكيان والجوهر النبوي، وأن الإمام السبط هو الامتداد الروحي والهدائي للنبي (صلى الله عليه وآله)، وليس فقط قريب نسبي، بل هو جذر روحي وقيمي، وأما في العبارة الأخرى(وأنا من حسين) فتدل على أن ما اتيت به من الدين الإلهي متوقف بقاؤه على الإمام، فكأن جهد النبي (صلى الله عليه وآله) يتحقق ثباته وبقاؤه على ما سيقوم به الإمام الحسين (عليه السلام) من ثورة ضد من يحرّف الدين، وهذا المعنى الذي أُشير إليه بلسان حاله (عليه السلام): "إن كان دين محمد لم يستقم * إلا بنفسي يا سيوف خذيني" (العاملي، محسن الامين، ١٩٨٣، صفحة ١/ ٥٨٢).

فمن هذه الخطابات الحسينية التي ترجمة القيمة القرآنية العليا لماهية الرسالة، وفحوى النبوة، بأن ترجم أبعاد النبوة وإقامة الشريعة، والعمل بحدود الدين، وهي من مهام الرسالة والإمامة؛ وحينما رأي عدم تطيق الوصايا النبوية قام مشمّرًا للدفاع عن حياض الرسالة، وكان امتدادًا طبيعيًا، وروحيًّا وعمليًّا للرسالة النبوية

المطلب الثالث: الإيمان بالمعاد وتوظيفه القيمي في حركة الإمام الحسين(عليه السلام):

١ـ التكوّن القرآني:

إن الاعتقاد بخالق حكيم لهذا الكون يستلزم عدم العبثية في هذا الخلق، لا سيما بعد رؤية الظلم وأخذ الحقوق في الدنيا، وحرمان كثير من بعض الأمور وتسخيرها لآخر، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا

وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]؛ ولأن هذا الخالق أبدع الكون من العدم فهور قادر على إعادته، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ولقد جعل الله تعالى للإيمان باليوم الآخر قيمة عقدية وتربوية كبيرة، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، فما يعمل الإنسان من خير يُجزَ به، قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} [آل عمران: ٣٠].

وقد لخّص تعالى هذه القيم في آية واحدة؛ مما يبين أن هناك منظومة واضحة للقيم القرآنية، فقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]، ولأنّ مسألة النبوة قد شابها شيء من الغلو على طول التاريخ؛ لذا قالت الآية: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ)؛ لينفي عنه صفة الإلوهية، ويثبت صفة النبوة عن طريق (يوحى إلي) .

وبهذا التعبير فقد نسف القرآن الكريم جميع الامتيازات المتصفة بالشرك التي تخرج النبي من صفة البشر إلى صفة الإله .

ثم تشير الآية إلى مسألة التوحيد حيث قالت: «أَنَّمَا إِلهُكُم إِلـهٌ وَاحِدٌ »، ولعل الآية أشارت إلى هذه القضية دون غيرها؛ لأنّ التوحيد خلاصة كل المعتقدات، وهدف كل البرامج الفردية والاجتماعية التي من شأنها جلب السعادة للإنسان .والتوحيد ليس أصلًا من أصول الدين وحسب، بل هو خلاصة جميع أصول الإسلام وفروع .

وأشارت الجملة الثالثة في الآية إلى قضية اليوم الأخر (البعث) وتربطه بالتوحيد بـ (فاء التفريع)، حيث تقول: فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) (الشيرازي، ناصر مكارم، ١٤٢٨، صفحة ٣/ ١٦٩).

فأشار إلى النبوة بقوله تعالى: {يُوحَى إِلَيَّ}، وإلى التوحيد بقوله تعالى: {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}، وإلى المعاد يقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ}، وهي منظومة متكاملة للقيم العقدية الاساسية في القرآن الكريم، والنظام الإسلامي.

٢ـ التوظيف القيمي الحسيني:

لقد كانت هذه القيمة القرآنية حاضرة في خطاباته (عليه السلام)على نحوين، الأوّل كلماته التي تنم عن حبه للقاء الله، وأنه مشتاق إلى لقاء رسول الله، وأهل بيته (عليهم السلام)، ومن ذلك قوله (عليه

السلام): ((نه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيبا فقال: الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منى أكراشا جوفا، وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصير على بلائه ويوفينا أجر الصابرين لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحا إنشاء الله تعالى)) (ابن طاووس، ١٤١٧، صفحة ٣٨)، وهذا قمة التسليم الإلهي، والصبر على قضاء الله، والحب للقائه جل وعز.

وقد روي عن ((الصادق عليه السلام أنه قال: سمعت أبي يقول لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد (لع) وقامت الحرب أنزل الله تعالى النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ثم خير بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله فاختار لقاء الله)) (ابن طاووس، ١٤١٧، صفحة ٣٨)، فالله تعالى ينصر المؤمنين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، إلا أنه (عليه السلام) لم يختر الجانب الغيبي، وحب لقاء الله تعالى، وهذا أجلى تطبيق لقوله تعالى: ﴿قل إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ٩٤]، فالإمام (عليه السلام) محب لله تعالى راجٍ لقاءه.

وقد خاطب الإمام (عليه السلام) الذين خرجوا لقتاله، بقوله: ((ويحكم يا شيعة آل سفيان ! إن لم يكن دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم هذه...)) (ابن اعثم ، احمد، ١٤١١ه، صفحة ٥/ ١١٧؛ الخوارزمي، الموفق، ١٤٢٣، صفحة ٢/ ٣٨)، وهذا تصريح منه (عليه السلام) بأن من خرج لقتاله لا يخشى لقاء الله، ولا يرجوه، وإلا لما خرج لقتال سيد شباب اهل الجنة، وهم على علم من يقاتلون، إلا أن حب الدنيا وطمعها أعمى أبصارهم وبصائرهم، ومع هذا كله يقول لهم وإن كنتم لا تخافون المعاد، ولكن لا تكونوا عبيدًا ليزيد وعبيد الله بن زياد والدنيا، بل كونوا أحرار في دنياكم، وهذا من حرصه (عليه السلام) لعدم قدومهم على هذا الفعل الشنيع بقتله وأهل بيته (عليه السلام)

ولقد كانت كل المآسي التي مرت عليه (عليه السلام) سهلة يسيرة؛ ليقينه باليوم الآخر، وأن الله سيجزي المحسنين بما أحسنوا، والظالمين بما ظلموا، فقال عليه السلام: ((اللهم إن كنت حبست عنا النصر فاجعل ذلك لما هو خير في العاقبة وانتقم لنا من القوم الظالمين...)) (ابن سعد، ١٤١٧ هـ، صفحة ٤٧١).

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في البناء القرآني والإنفاذ الحسيني

المطب الأول: قيمة الصدق في القرآن الكريم :

لقد اتخذ القرآن الكريم أساليب متنوعة في عرضه لهذ القيمة العليا منها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ولعل هذه الآية تبين لنا مدى علوّ مكانة الصادقين؛ فأمر أن نكون معهم، وكأن مكانة الصادقين لا نصلها بل نكون معهم؛ لذا أمر الله تعالى بأن نكون أنصار الله بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، وكذلك نكون: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] وكذلك: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وهذا يؤيد ما ورد من روايات عن المعصومين (عليهم السلام) بأنهم هم (الصادقون) المعنيّون بالآية، وهذا معنى ورد كثير في الروايات منها ما روي ((عن بريد بن معاوية العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال إيانا عنى)) (الكليني، محمد بن يعقوب، ١٣٦٣ ش، صفحة ١/ ٢٥٦)، ومثله ما ورد عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، في قوله: (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال: ((مع علي بن أبي طالب عليه السلام)) (الطوسي، محمد بن الحسن؛، ١٤١٤، صفحة ٢٨٦؛ الطبرسي، الفضل، ١٤١٥، صفحة ٥/ ١٤٠) ، وفي ذا حثّ من الله تعالى بأن نكون معهم ؛ لأنهم مظهر الصدق، ومطابقة القول والفعل سلام الله عليهم.

تجلي قيمة الصدق عن الإمام الحسين (عليه السلام):

إن عادة القائد في الحروب وقبل بدئها أن يشجّع مقاتليه، ويعدهم بالنصر، وإن كانوا قلّة، ولا يقول لهم بانهم سيُقتلون؛ لأن ذلك سيُضعف من عزيمتهم، إلا ان الإمام الحسين (عليه السلام) لم يخفّ أصحابه بأنهم سينتصرون ماديًّا، وأنهم سيبقون احياء، بل وضع أمامهم مصيرهم، وأخبرهم بانه وأهل بيته أصحابه سيقتلون، وهذ يدلّ على تجلي قيمة الصبر عنده (عليه السلام) تطبيقه لها في أحلك الظروف وأشد المواقف، وقد صرّح في ذلك بغير موضع منه ما خطب به الناس حينما توجه إلى العراق فقال: ((كأن بأوصالي تتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء . يملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغباء لا محيص عن يوم خط بالقلم . رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين . لن نشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقربهم عينه وينجز لهم وعده .ألا ومن كان فينا باذلا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فاني راحل مصبحا إنشاء الله)) (النعماني، ١٤٠٩هـ، صفحة ٣/ ١٤٦؛ ابن نما، ١٣٦٩، صفحة ٣٦)، فلم يغشّهم أو يكذب عليهم – حاشاه- وهو بذلك؛ وضع مصيرهم أمام أعينه؛ ليميز من هو ثابت على النهج، عارفًا بمن ينصُر؛ لذلك قال عن أصحابه وأهل بيته (عليهم السلام): ((أمّا بعد فإنّي لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا

من أصحابي...)) (ابن الاثير، علي، ١٩٦٥م، صفحة ٤/ ٥٧)، فبصدقه معهم صدقوا معه وكانوا مصداقا لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فحينما قال (عليه السلام): ((الصدق عز، والكذب عجز)) (اليعقوبي، احمد، ١٤١٦ هـ، صفحة ٢/ ٢٤٦)، كان مطبّقًا لهذا القول ومنطلقًا من القرآن الكريم، فلم يكن الصدق مجرد مفهوم، بل قيمة عليا، فكان مطبّقًا لها في القول والفعل، ومع نفسه وأصحابه، بل كان صادقًا حتى مع أعدائه، فقد أخبر ودعا على بعض أعدائه بأدعية خاصة ووقع ما اخبر عنه، فصدق (عليه السلام) حتى في إخباراته ومن ذلك: ((وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له، يقال له: ابن أبي جويرية المزني، فلما نظر إلى النار تتقد صفق بيده، ونادى: يا حسين وأصحاب حسين، أبشروا بالنار، فقد تعجلتموها في الدنيا ! فقال الحسين (عليه السلام): من الرجل ؟ فقيل:ابن أبي جويرية المزني . فقال الحسين (عليه السلام): اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا . فنفر به فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق)) (الصدوق، محمد، ١٤١٧، صفحة ٢٢١).

ومثله ما وقع لتميم بن حصين الفزاري، حينما نادى: ((يا حسين ويا أصحاب حسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات ؟ والله لا ذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جرعا. فقال الحسين (عليه السلام): من الرجل ؟ فقيل: تميم بن حصين . فقال الحسين (عليه السلام): هذا وأبوه من أهل النار، اللهم اقتل هذا عطشا في هذا اليوم . قال: فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه، فوطئته الخيل بسنابكها فمات)) (الصدوق، محمد، ١٤١٧، صفحة ٢٢١)، وغيرها كثير من الوقائع التي تدل على صدق ما أخبر أو دعا به.

المطلب الثاني: قيمة الصبر:

١ـ الصبر في القرآن الكريم:

لقد قسّم النبي الأكرم الصبر على أنواع، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام)((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية)) (الكليني، محمد بن يعقوب، ١٣٦٣ ش، صفحة ٢/ ٩١).

فمن الصبر على المصيبة والابتلاءات الذي أشار إليه القرآن الناطق (عليه السلام) قول الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، فنرى الجزاء والمكانة العليا التي وعدهم الله بها، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان: ١٧].

ومن الصبر على الطاعة قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ومن الصبر على المعصية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد منح الله تعالى الصابرين من الميزات ما لم يمنحها لغيرهم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

والصبر يصنع التحمل الواعي للمصائب والأزمات، وكذا الثبات بإرادة أمام المغريات، والمثابرة باستمرار في طريق الحق والطاعة.

وقد منح الله الصابر محبة منه: قال تعالى:﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

معيّته سبحانه: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]

البشرى الخاصة لهم: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]

توفية الأجر من دون حساب: ﴿نَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٢ـ تخلّق الإمام الحسين (عليه السلام) بالصبر:

إن المتتبع لحركة الإمام الحسين(عليه السلام) يجد قيمة الصبر من أبرز القيم التي تجسدت في نهضته، فمنذ بدء حركته كان يعلم حق اليقين أنه سيُقتل هو وأصحابه وأهل بيته لكن عليه أن يسير بهذا الطريق، وقد صرّح بذلك بقوله (عليه السلام): ((لا محيص عن يوم خطّ بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، و يوفّينا أجور الصابرين)) (الكوفي ، فضيل، ١٣٨٢هـ.ش، صفحة ٤٣)، ففي هذا النص تجلٍ واضح لقيمة الصبر في أروع صوره، يكشف عن البعد العقدي العميق لقيمة الصبر، فمع معرفته (عليه السلام) بما سيحصل له في كربلاء، إلا أنه سلّم تسليمًا كاملا لقضاء الله وقدره، صابرًا على ذلك كله، إلا أنه لا يفهمن أن الصبر مجرد تحمل لما سيقع من المحن، بل هو التحمل الاختياري والواعي للابتلاءات لأجل تحقيق القيم الإلهية العليا، لعلمه أن الله تعالى لا يضيع أجر الصابرين.

وتتجلى لنا أهمية قيمة الصبر في كلمات الإمام الحسين بقوله (عليه السلام): ((صبراً بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّ إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر)) (الصدوق، محمد، ١٣٩٠هـ ش، صفحة ١٤٢)، فهذه المقولة تكشف عن الرؤية الوجودية الصافية للحياة والموت، ومعرفة قيمة ومآل كل منهما، فقد وصّف الإمام (عليه السلام) إن صبره هذه الساعات يخرجه من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فكأن صبره جسر من الدنيا إلى الآخرة.

ويتجدد هذا المعنى في آخر لحظاته المباركة حينما رمق السماء بطرفه وقال (عليه السلام): ((صبرا على قضائك يا رب لا إله سواك...)) (المقرّم، عبد الرزاق، ٢٠٠٧، صفحة ٢٩٧). وهنا يتجلى التطبيق والتفعيل لقيمة الصبر، والعمل المرتكز على التوحيد المطلق لله تعالى، والثقة به والتسليم له، صبر واعٍ مسّلم لله غير مستسلم لأعدائه، فالصبر عنده ليس موقفًا عاطفيًّا مؤقّتًا، بل هو عقيدة رسالية متجذّرة في التوحيد لله تعالى، مشيرًا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، مستحضرًا لهذا الوعد الإلهي، ويجعله امتثالًا لمشيئة الله تعالى، راجيًا جزاءه وعطاءه غير المتناهي.

ومن تطبيقه (عليه السلام) لقيمة الصبر، وحثّه عليها هو ما قاله لأخته السيدة زينب (سلام الله عليها): ((وصبرها وقال لها: يا أختاه ! تعزي بعزاء الله وارضي بقضاء الله، فإن سكان السماوات يفنون وأهل الأرض يموتون وجميع البرية لا يبقون، وكل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإن لي ولك ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد ﷺ)) (ابن اعثم ، احمد، ١٤١١ه، صفحة ٥/ ٨٤)، فنراه هنا صابرًا في احلك الظروف، مصبّرًا أهل بيته، وأصعب من هذا الموقف ساعة قتل عبد الله الرضيع (عليه السلام) بحجره وهو ينظر إليه، فقال (عليه السلام): ((هوّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح)) (المقرّم، عبد الرزاق، ٢٠٠٧، صفحة ٢٨٦)، فأي تطبيق اعلى من هذا!، وأي عقيدة أرسخ من هذه!

المطلب الثالث: قيمة الوفاء في القرآن الكريم وتجليه في شخص الإمام الحسين (عليه السلام):

١ـ قيمة الوفاء في القرآن الكريم:

إن الوفاء قيمة قرآنية عظمى، حثَّ عليها القرآن الكريم عليها، وكذا اهل البيت (عليهم السلام)، واقرنت صفة الوفاء بالصدق وقد اكد القرآن الكريم على الوفاء بالعهود والمواثيق

وجعلها كصفةٍ للمتقين، وذمَّ نقض العهود والغدر: فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ﴾[الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى في ثبات الصحابة في الحروب وصدقهم ما وعدوا به الله والنبي من بذلهم أنفسهم في سبيل الدين فقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤]

وفي الوفاء في العلاقات الاجتماعية وحفظ حقوق الآخرين وعدم نكران الجميل والمعروف قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[الرحمن: ٦٠]، أي إن الانسان سيعرف بفطرته أن من المنطق والعقل والفطرة يكون الجواب نعم جزاء من أحسن الينا أن نفي له بذلك الاحسان بمثله.

العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

وبالمقابل ذم من ينقض العهد ولا يفي به، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[الرعد: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[الرعد: ٢٥].

ولما للعهد من أهمية أساسية في الدين الاسلامي، ضرب الله المثل الأعلى به فقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٦]

وكذا أمرنا بالوفاء بالعقود فقال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وبالمكيال فقال تعالى:﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١]، وبالوفاء بالنذر فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وهذا التأكيد القرآني يدل على ما لهذه القيم الأخلاقية من الأهمية والمركزية في حياة الإنسان، ولها محورية في حياته وانتظام المجتمع وازدهاره.

٢ـ تجلي الوفاء في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام):

يتضح تفعيل هذه القيمة الإسلامية العليا من كلمات ومواقف الإمام الحسين (عليه السلام)، ومن ذلك ما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) ان الإمام الحسين (عليه السلام): ((جمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء. قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: " فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: ...أما بعد: فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرًا...)) (المفيد، محمد محمد النعمان، ١٩٩٣، صفحة ٢/ ٩١) ، فهم ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب: ٢٣]، حينما خرجوا معه للحرب لم يتركوه إلى آخر أنفاسهم، وهو (عليه السلام) لم يتخلَّ عنهم في أحلك لظرف، وكان مدافعًا عنهم، وينعاهم عند الوقوف على مصارعهم.

والوفاء ليس مفهومًا مجردًا عند الإمام الحسين (عليه السلام) فقد تجسّد هذا المفهوم بوصفه قيمة عليا في حركة الامام الحسين (عليه السلام)، فهو لم يخن الأمانة، ولم يركن إلى الذين ظلموا، ولم يقبل بأي منصب، فلم تغره الدنيا، ولم يخوفه التهديد بالموت، بل كان وفيًّا لعقيدته بخروجه على من يريد ان يحرف كلام الله، ويحلل ما حرمه، ويحرم ما احل الله، ووفيًّا لرسالة لجده (صلى الله عليه وآله)، ووفيّا لأهل بيته، وأصحابه ومجتمعه.

المبحث الثالث: القيم الاجتماعية بين المفهوم القرآني والتجسيد الحسيني:

المطلب الأول: العدل بالمفهوم القرآني والتفسير الحركي في المشروع الحسيني:

١ـ العدل في القرآن الكريم

لقد خلق الله الإنسان وكرّمه، وجعله خليفة له في الأرض، وأرسل رسله؛ ليؤكدوا للناس هذه القيمة الإلهية العليا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥]، إلا أن بعض الناس ممن انساق إلى هواه، وأغواه الشيطان أو حب الدنيا أخذ بظلم الآخرين وسلب حقوقهم، وهذا مما يتعارض مع الهدف الإلهي، ويناقض اعلى القيم القرآنية وهو العدل، وقد كان للقرآن الكريم أساليب عدة في عرض هذه القيمة منها:

أ- الأمر المباشر بإقامة العدل: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[النحل:٩٠]، وكذلك المقارنة بين من يأمر به، وخلافه فقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

ب- الأمر به حتى مع المخالف: قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة: ٨]، فالله تعالى يأمر بالعدل حتى مع من تخالفه بالرأي أو العقيدة؛ لأن العدل قيمة إنسانية عليا.

ت- إقامة العدل ولو على النفس، ولعل من أصعب انواع العدل هو أن تقيم العدل حتى على نفسك، أو على الوالدين أو الأقربين، ولا تأخذك الحمية عليهم أو الميل لهم؛ لأن قيمة العدل أعلى من كل ذلك قال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[النساء: ١٣٥].

ث- العدل بأخذ الحقوق: من الموازين الإلهية الصارمة هو أن تأخذ حقك ممن ظلمك أو اعتدى عليك بمقدار ما أخذ، قال تعالى: ﴿مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: ١٩٤].

ج- العدل مع العائلة: جعل الله تعالى شرط إقامة العدل بين الزوجات شرط أساس، فمن لم يستطع أن يعدل بين الزوجات فلا يحق له ان يعدد، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

ثم إن الله تعالى سيحكم بين الناس يوم القيامة بالعدل، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]، فلا

العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

ظلم بساحته سبحانه، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨]، فشهد على نفسه وملائكته وأولوا العلم بأنهم يحكمون بالعدل.

وفي قبال هذا نهى الله تعالى عن الظلم، بل حتى من الركون إلى الظالمين بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[هود: ١١٣]، ولعل هذا من أخطر الوعيد الإلهي، فإن مجرد الركون إلى الظالم سيمسه النار فكيف بالظالم نفسه!

وإن الظلم هو سبب هلاك الأمم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وفي هذا تصريح بنجاة من نهى عن الظلم، وهلاك من ظلم، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[يونس: ١٣].فالعدل قيمة قرآنية عظمى ونقيضه الظلم، وهو جريرة عظمى.

٢ـ التطبيق العملي للعدل في المشروع الحسيني:

لقد أسس الامام الحسين(عليه السلام) لمبدأ ينطبق على مدى العصور حينما قال للوليد قائلًا: ((إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)) (ابن طاووس، ١٤١٧، صفحة ١٧)، فحينما قال (عليه السلام): (ومثلي لا يبايع مثله) ميّز بين معسكرين ومحورين أحدهما يمثل بخط الخير والطهر والعدل وهو متمثلًا به (عليه السلام)، والآخر يتمثل بخط الشر والفجور والظلم ويمثله (يزيد)، ولم يقل: (انا لا أبايع يزيد)؛ ليخرج الخطاب من الدائرة الشخصية إلى وضع قاعدة عامة، ولا يُختزل الموقف بالإمام (عليه السلام) ويزيد (لعنه الله)؛ ليأتي من بعده ويجوّز لنفسه مبايعة الظالم، فهو يريد ان يبيّن ان كل من ينتسب لخط العدل لا ينبغي ان يبايع الظالم.

ومثل هذا الموقف صدر منه (عليه السلام) حينما ((خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان رسول الله ﷺ قال: من رآى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله)) (ابو مخنف، لوط، ١٤١٧ هـ، صفحة ٩٩؛ الطبري، محمد بن جرير، ١٤٠٣ هـ، صفحة ٤/ ٣٠٤).

وقد تجسدت قيمة العدل عنده (عليه السلام) بأرقى صورها، فكان عادلًا ورحيما حتى مع أعدائه فحينما ((جاء القوم زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التّميميّ حتّى وقف هو و خيله مقابل الحسين عليه السّلام في حرّ الظّهيرة، و الحسين عليه السّلام و أصحابه معتمّون متقلّدوا أسيافهم، فقال الحسين عليه

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

السّلام لفتيانه: اسقوا القوم و أرووهم من الماء و رشّفوا الخيل ترشيفا ففعلوا و أقبلوا يملئون القصاع و الطّساس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس)) (المفيد، محمد محمد النعمان، ١٩٩٣، صفحة ٢/ ٨٨).

وتجلى عدله كذلك في مواقفه في تأبين أصحابه، ولم يفرّق بين السيد والعبد، والأبيض والأسد، وصاحب الحسب الرفيع وغيره، فحينما ((برز جون مولى أبي ذر وكان عبدا أسود فقال له الحسين عليه السلام أنت في إذن منى فإنما تبعتنا طلبا للعافية فلا تبتل بطريقنا، فقال: يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدّة أخذ لكم، والله إنّ ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنّة، فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيضّ وجهي، لا والله لا أفارقكم حتّى يختلط هذا الدّم الأسود مع دمائكم . وقال محمّد بن أبي طالب: ثمّ برز إلى القتال وهو ينشد ويقول: كيف يرى الكفّار ضرب الأسود * بالسيف ضربا عن بني محمد أذبّ عنهم باللسان واليد * أرجو به الجنّة يوم المورد ثمّ قاتل حتّى قتل، فوقف عليه الحسين عليه السّلام وقال: اللهمّ بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمّد وآل محمّد . وروي عن الباقر عليه السّلام، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام أنّ الناس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلى، فوجدوا جونا بعد عشرة أيّام يفوح منه رائحة المسك رضوان الله عليه)) (البحراني، عبد الله، ١٤١٣، صفحة ١/ ٢٦٧)، وغيرها الكثير من الواقف التي تُظهر عدله، والاخرى الكاشفة عن وقوفه ضد الظلم.

المطلب الثاني: الاصلاح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في النص القرآني والتطبيق الحسيني:

أكد القرآن الكريم على الإصلاح ونهى عن ضده وهو الفساد؛ ولأهمية هذه القيمة كانت وصية إلهية، وقيمة أكد عليها الأنبياء، وقد جعلها الله تعالى كالمعيار لهلاك القرى أو نجاتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، أي لا يعذبهم وهم:" مصلحون أنفسهم ومجتمعهم باجتناب المعاصي والنهي عن المنكر، وإنما أهلكهم بالعدل حين كان أهلها مجرمين مفسدين" (الشيرازي، محمد، ١٤٢٤، صفحة ٢/ ٦٥٧).

ويشير القرآن الكريم إلى قضية لعلها من أكثر القضايا انتشارًا في عصرنا الحالي وهي مسألة ادعاء الاصلاح، وفي الحقيقة المدعي له هو مفسد في الارض؛ لذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١١، ١٢]، فهناك إصلاح حقيقي وهناك مدعٍ له؛ لذا ينبهنا القرآن من النوع الثاني.

ويجعل القرآن الكرم الإصلاح قيمة حركية بنائية في الدنيا إذا قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: ٥٦]، ومما روي عن أئمتنا في ذلك ما رود ((عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: (لا تفسدوا في الأرض بعد صلاحها) قال: ان الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيه عليه السلام، فقال: " لا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ")) (العياشي، ١٤١١هـ، صفحة ٢/ ١٩)، وكذلك قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وكذلك قيمة أخروية يترتب عليها مصير الإنسان، وأن شرط التوبة والنجاة يوم القيامة مرتبط بالحركة الإصلاحية، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

ومما يؤدي للإصلاح، بل هو أساسه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه يصلح الفاسد، ويُحذّر من الفساد، إذ وصف الله الأمة بأنها خير أمة أخرجت لناس على أساس أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ومن ثم استقامة المجتمع وصلاحه فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[آل عمران: ١١٠]، وجعل ذلك من مهام النبوة فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وجعل هذه إقامة هذه القيمة مزيّة محمودة فقالت تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وقد في نهج البلاغة عن المير (عليه السلام):" لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم" (الرضي، ١٤١٢هـ). وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في بيان مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله: ((إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم)) (الكليني، محمد بن يعقوب، ١٣٦٣ ش، صفحة ٥/ ٥٦).

ويأمر به القرآن الكريم بوصفه قيمة اجتماعية كبرى بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[التوبة: ٧١]، أما المنافقون فقال عنهم تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[التوبة: ٦٧].

التطبيق الحسيني للإصلاح:

لعل أبرز ما وسِمت به حركة الإمام الحسين(عليه السلام) هو(الإصلاح)، انطلاقًا من قوله الخالد في وصيته لاخيه ابن الحنفية: ((... وأني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك،

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.)) (المجلسي، محمد باقر، ١٩٨٣م، صفحة ٤٤/ ٣٢٩)، فمحور حركته وعنوانها البارز هو أن يدفع عن هذه القيمة العليا،(الاصلاح) بان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ومثله ما اشار اليه بقوله: ((إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله إن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزمو اطاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفئ وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله)) (ابو مخنف، لوط، ١٤١٧ هـ، صفحة ٨٥) (الطبري، محمد بن جرير، ١٤٠٣ هـ، صفحة ٤/ ٣٠٤)، وبهذا القول يبين (عليه السلام) إن يزيد ناكث للعهد ظالم فاسق لازم لطاعة الشيطان، كما قال (عليه السلام): ((ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق)) (ابن طاووس، ١٤١٧، صفحة ١٧). من هنا يجب أن يعمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يُصلح الوضع السياسي والاجتماعي.

ومن خلال الاطلاع على وصف الإمام (عليه السلام) ومراجعة كتب التاريخ والسيرة ومنها: "كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب" (المسعودي، علي، ١٤٠٤، صفحة ٣/ ٦٧)، ومثله ما نقله غير واحد من أن وفدا من أشراف أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية وبعد منصرفهم "أظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان" (الطبري، محمد بن جرير، ١٤٠٣ هـ، صفحة ٤/ ٣٦٨) (الأزدي، يزيد، ١٤٢٧ هـ، صفحة ١/ ١٠٠)، وغيرها من النصوص التي تدل على ترد الوضع الديني، والتحلل المجتمعي، ورجوع الجاهلية الأولى، فكان على الإمام الحسين (عليه السلام) أن يقوم بحركة الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لإعادة الدين والمجتمع إلى السراط السوي، وغرس قيمة الاصلاح ورفض الفساد في نفوس الأمة.

الخاتمة:

لقد سعى هذا البحث إلى تتبع مسيرة القيم القرآنية الأصيلة من حيزها النظري في كتاب الله الكريم إلى مساحة تجسيدها العملي في سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) وخطابه، إن قراءة هذا الخطاب الحسيني لم تكن مجرد استعراض تاريخي، بل كانت استنطاقًا للمبادئ التي شكّلت ثورته ووجهتها، وكشفت عن كونها امتدادًا طبيعيًا لتلك القيم التي أُنزلت على قلب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

لقد أثبت البحث أن خطاب الإمام الحسين لم يكن خطابًا إرتجاليًا، بل كان بنية فكرية متكاملة إستمدت كل مقوماتها من القرآن الكريم. ففي مجال:

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

١- القيم العقدية: أظهرت الدراسة أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يتناول قضايا العقيدة تناولًا نظريًا مجرّدًا، بل فعّل مفاهيم التوحيد والنبوة والمعاد في خطابه وسلوكه، فجعل من توحيد الله منطلقًا لرفض الطغيان، ومن النبوة ميزانًا للشرعية، ومن المعاد دافعًا للتضحية والفداء.

٢- القيم الأخلاقية: تجسدت مفاهيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ثورته (عليه السلام) كوظيفة إصلاحية أخلاقية، لا كفعل معارض فقط، بل كمبدأ قرآني أراد الإمام إحياءه في واقع آل إلى الفساد والانحراف، فكانت ثورته أخلاقية بامتياز قبل أن تكون سياسية.

٣- القيم الاجتماعية: ناقش البحث كيف بُني خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) على مفاهيم العدل والإصلاح والوفاء، وهي قيم قرآنية ترسّخت في خطابه وأفعاله، فجعل العدل ميزانًا للتقييم، والإصلاح هدفًا للثورة، والوفاء منهجًا في العلاقات الفردية والاجتماعية، حتى في أشد لحظات المواجهة.

وفي الختام، يخلص البحث إلى أن خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) يمثل نموذجًا فريدًا في كيفية تفعيل القيم القرآنية في الواقع. فلم تكن القيم لديه مجرد نظريات، بل كانت أفعالًا وتضحيات، مما يؤكد أن الإصلاح الحقيقي لا يمكن أن يتم إلا بالجمع بين الإيمان العميق والعمل الجاد، وهو ما يجعل من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) منارة تضيء للأجيال القادمة طريق العزة والكرامة.

المصادر والمراجع:

ابن الاثير، علي. (١٩٦٥م). الكامل في التاريخ (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار صادر.

احمد زايد. (١٩٨٣). علم الاجتماع والنظريات الكلاسيكية والنقدية. المانيا.

احمد، عبد الله. (١٩٨٨). اللقيم في القصص القرآني. طنطا، مصر.

الأزدي، يزيد. (١٤٢٧ هـ). تاريخ الموصل (المجلد ١). (احمد عبد الله، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن اعثم ، احمد. (١٤١١ه). الفتوح (المجلد ١). (علي شيري، المحرر) الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع.

البحراني، عبد الله. (١٤١٣). العولم الامام الحسين (المجلد ١). قم: مؤسسة الامام المهدي.

الترمذي، محمد بن عيسى. (١٤٠٣). سنن الترمذي. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

الحراني، ابن شعبة. (١٤٠٤). تحف العقول عن آل الرسول (المجلد ٢). (علي اكبر الغفاري، المحرر) قم، ايران: مؤسسة النشر الاسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

الحسكاني، عبيد الله. (١٤١١). شواهد التنزيل لقوعد التفضيل (المجلد ١). (محمد باقر المحمودي، المحرر) قم: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

الحلي ابن نما. (١٣٦٩). مثير الاحزان. النجف الاشرف، العراق: المطبعة الحيدرية.

الخوارزمي، الموفق. (١٤٢٣). مقتل الحسين (ع). ايران: انوار الهدى.

ابن سعد. (١٤١٧ هـ). الطبقات الكبرى(الطبقة الخامسة من الصحابة) (المجلد ١). عربستان: مكتبة الصديق.

الشريف الرضي. (١٤١٢هـ). نهج البلاغة (المجلد ١). (تحقيق: محمد عبده، المحرر) بيروت لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر.

ابن ابي شيبة، عبد الله. (١٤٠٩). المصنف (المجلد ١). (سعيد اللحام، المحرر) بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الشيرازي، محمد. (١٤٢٤). تقريب القرآن الى الاذهان (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع.

الشيرازي، ناصر مكارم. (١٤٢٨). مختصر تفسير الامثل (المجلد ١). قم، ايران: مجرسة الامم علي (ع).

صدر المتألهين. (١٣٨٣ ش). شرح اصول الكافي (المجلد ١). (خواجوي محمد، المحرر) طهران: مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي.

الصدر، محمد باقر. (١٤٢٥ هـ). اقتصادنا (المجلد ٢). قم، ايران: مكتب الاعلام الاسلامي.

الصدوق، محمد. (١٣٩٠هـ ش). الاعتقادرات (المجلد ٢). قم، ايران: بيام امام هادي (ع).

الصدوق، محمد. (١٤١٧). الامالي (المجلد ١). (قسم الدراسات الاسلامية –مؤسسة البعثة، قم – ايران، المحرر) قم، ايران: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

ابن طاووس، علي. (١٤١٥). الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل بالسنة مرّة (المجلد ١). (جود القيومي، المحرر) اصفهان: مكتب الاعلام الاسلامي.

ابن طاووس. علي، (١٤١٧). اللهوف على قتلى الطفوف (المجلد ١). قم، ايران: انوار الهدى.

الطباطبائي، محمد حسين. (٢٠٠٩). الميزان في تفسير القران. قم: مؤسسة المجتبى للمطبوعات.

الطبرسي، الفضل. (١٤١٥). مجمع البيان في تفسير القرآن (المجلد ٥). (لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطبري، محمد بن جرير. (١٤٠٣ هـ). تاريخ الطبري. (نخبة من العلماء، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

الطريحي، فخر الدين. (١٣٦٢ ش). مجمع البحرين. قم: مرتضوي.

الطوسي، محمد بن الحسن؛. (١٤١٤). الأمالي. (قسم الدراسات الاسلامية- مؤسسة البعثة، المحرر) قم: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

العاملي، محسن الامين. (١٩٨٣). اعيان الشيعة. بيروت، لبنان: دار التعارف للمطبوعات.

العياشي. (١٤١١هـ). تفسير العياشي (المجلد ١). بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي.

ابن فارس، احمد. (١٤٠٤هـ). معجم مقاييس الغة. ايران: مكتب الاعلام الاسلامي.

الفيض الكاشاني، محمد حسين. (١٤١١). الوافي (المجلد ١). (ضياء الدين الحسيني، المحرر) اصفهان: مكتبة الامام امير المؤمنين العامة.

القاضي النعماني. (١٤٠٩هـ). شرح الاخبار. (محمد الحسيني الجلالي، المحرر) قم: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٦٣ ش). الكافي. طهران: دار الكتب الاسلامية.

الكوفي ، فضيل. (١٣٨٢هـ.ش). تسمية من قتل مع الحسين(ع) (المجلد ٢). قم، ايران: نويد اسلام.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

لالاند، اندريه. (٢٠٠١). موسوعة لالند الفلسفية (المجلد ٢). بيروت، لبنان: دار عويدات.

المجلسي، محمد باقر. (١٩٨٣م). بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار (المجلد ٢). بيروت، لبنان: مؤسسة الوفاء.

ابو مخنف، لوط. (١٤١٧ هـ). مقتل الحسين (ع). (حسين الغفاري، المحرر) القاهرة: طبعة دار الكتاب الإسلامي.

المدرسي، محمد تقي. (١٤١٣). التشريع الاسلامي مناهجه ومقاصده (المجلد ٢). طهران، ايران: منشورات المدرسي.

المسعودي، علي. (١٤٠٤). مروج الذهب ومعادن الجوهر (المجلد ٢). قم، ايران: منشورات دار الهجرة.

المفيد، محمد محمد النعمان. (١٩٩٣). الارشاد (المجلد ٢). (مؤسسة آل البيت (ع)، المحرر) بيروت - لبنان: دار المفيد للطباعة والنشر.

المقرّم، عبد الرزاق. (٢٠٠٧). مقتل الحسين (ع). بيروت، لبنان: مؤسسة الخرسان.

اليعقوبي، احمد. (١٤١٦ هـ). تاريخ اليقوبي. بيروت، لبنان: دار صادر.